

284212 - قصة وفاة الإمام النسائي صاحب السنن رحمه الله .

السؤال

أريد أن أعرف قصة وفاة الإمام النسائي ، وهل حقا توفي بسبب ضربه من طرف بعض المتعصبة ؟

ملخص الإجابة

دخل الإمام النسائي رحمه الله دمشق ، فوجد فيها انحراف عن علي رضي الله عنه ، فحدث فيهم بفضائله ، فظن بعض الجهلة والمتعصبة أنه يتحامل على معاوية رضي الله عنه ، فضربوه وآذوه ، فكان ذلك سببا في وفاته بعد ذلك رحمه الله .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن رحمه الله ، إمام من أئمة المسلمين ، وحافظ من كبار الحفاظ ، وفقه عالم ، وصالح عابد ، قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ الْحَافِظُ: " سَمِعْتُ مَشَايخَنَا بِمِصْرَ يَعْتَرِفُونَ لَهُ بِالتَّقَدُّمِ وَالْإِمَامَةِ، وَيَصِفُونَ مِنْ اجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمُواظَبَتِهِ عَلَى الْحَجِّ وَالْاجْتِهَادِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ: " كَانَ يَصُومُ يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا " .

"البداية والنهاية" (14 / 793).

دخل دمشق في آخر عمره ، فوجد كثيرا من أهلها منحرفين عن علي رضي الله عنه ، فحدث فيهم بفضائله ، فتعصب عليه بعض الجهلة ، وضربوه ، وكان ذلك سببا في موته رحمه الله .

قال محمد بن موسى : " سمعت قوما ينكرون عليه كتاب "الخصائص" ، لعلي رضي الله عنه ، وتركه لتصنيف فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولم يكن في ذلك الوقت صنفاها، فحكيت له ما سمعت، فَقَالَ: دخلنا إلى دمشق ، والمنحرف عن علي بها كثير، فصنفت كتاب "الخصائص" ، رجاء أن يهديهم الله " انتهى من "تهذيب الكمال" (1 / 338) .

وقد ذكروا أن أهل دمشق لما ظنوا أنه يتنقص معاوية رضي الله عنه آذوه وضربوه ، فَمَا زَالُوا يَدْفَعُونَ فِي حِضْنَيْهِ حَتَّى أُخْرِجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى الرَّمْلَةِ - وَقِيلَ إِلَى مَكَّةَ - فَتُوِّفِيَ بِهَا.

قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: " خَرَجَ حَاجًّا فَاْمْتَحِنَ بِدِمَشْقَ، وَأَدْرَكَ الشَّهَادَةَ فَقَالَ: اِحْمِلُونِي إِلَى مَكَّةَ. فَحُمِلَ وَتُوِّفِيَ بِهَا " .

"سير أعلام النبلاء" (82 / 11)

وقال ابن كثير رحمه الله :

" قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: كَانَ أَفْقَهُ مَشَايخِ مِصْرَ فِي عَصْرِهِ ، وَأَعْرَفَهُمْ بِالصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ مِنَ الْأَثَارِ ، وَأَعْرَفَهُمْ بِالرِّجَالِ ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ حَسَدُوهُ ، فَخَرَجَ إِلَى الرَّمْلَةِ ، فَسُئِلَ عَنْ فَضَائِلِ مُعَاوِيَةَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، فَضْرَبُوهُ فِي الْجَامِعِ ، فَقَالَ: أَخْرَجُونِي إِلَى مَكَّةَ ، فَأَخْرَجُوهُ وَهُوَ عَلِيلٌ ، فَتَوَفَّى بِمَكَّةَ مَقْتُولًا شَهِيدًا .

قَالَ الْحَاكِمُ: مَعَ مَا رُزِقَ النَّسَائِيُّ مِنَ الْفَضَائِلِ ، رُزِقَ الشَّهَادَةَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، مَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَحَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ فِي " الْوَفِيَّاتِ " أَنَّهُ إِنَّمَا صَنَّفَ " الْخَصَائِصَ " فِي فَضْلِ عَلِيٍّ وَأَهْلِ الْبَيْتِ ، لِأَنَّهُ رَأَى أَهْلَ دِمَشْقَ حِينَ قَدِمَهَا فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ عِنْدَهُمْ نَفْرَةً مِنْ عَلِيٍّ .

"البداية والنهاية" (795 / 14)

وقال مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ الْحَافِظُ:

" سَمِعْتُ مَشَايخَنَا بِمِصْرَ يَصِفُونَ اجْتِهَادَ النَّسَائِيِّ فِي الْعِبَادَةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْفِدَاءِ مَعَ أَمِيرِ مِصْرَ ، فَوَصَفَ مِنْ شَهَامَتِهِ وَإِقَامَتِهِ السُّنَنِ الْمَأْثُورَةَ فِي فِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاحْتِرَازِهِ عَنْ مَجَالِسِ السُّلْطَانِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ ، وَالْأَنْبَسَاطِ فِي الْمَأْكَلِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابُّهُ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ بِدِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الْخَوَارِجِ " .

"سير أعلام النبلاء" (82 / 11)

والذي يظهر أن النسائي لم يكن منحرفا عن معاوية رضي الله عنه ، أو يقع فيه ، وحاشاه من ذلك ، إن شاء الله ؛ وإنما ظن بعض المنحرفين عن عليّ ، أنه إذا روى فضائل عليّ ، وصنف في ذلك ، وسكت عن معاوية فهو يبغض معاوية ؛ لذلك تحاملوا عليه .

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله :

" روي عن أبي عبد الرحمن النسائي ، أنه سئل عن معاوية بن أبي سفيان ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة ، إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب ، إنما يريد دخول الباب.

قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة " انتهى من "تاريخ دمشق" (175 / 71).

وما ذكروه من أنه لما خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق، فسئل بها عن معاوية بن أبي سفيان ، وما روي من فضائله ، فقال: " معاوية لا يرضى رأساً برأس ، حتى يفضّل؟! " فما زالوا يدفعون في حُضنيه حتى أخرج من المسجد .

فهذا - إن صح - : محمول على أن بعض الغوغاء والجهلة ، من العوام وأشباههم : لما سمعوا منه فضائل عليّ ، قالوا له : أسمعنا فضائل معاوية ، كما أسمعنا فضائل عليّ .

فأراد أن يبين لهم أن معاوية رضي الله عنه ليس مثل عليّ في الفضل، وذلك ليخفف من غلوهم في معاوية ، وانحرافهم عن علي، فما كان منهم لجهلهم ، وتعصبهم إلا أن قاموا إليه وضربوه ، وهذا كتابه في فضائل الصحابة ، يدل على تعظيمه لقدر الصحابة ، وفضل الصحبة وسلامة صدره مما اتُّهم به زورا .

قال ابن عساکر :

" هذه الحكاية لا تدل على سوء اعتقاد أبي عبد الرحمن في معاوية بن أبي سفيان، وإنما تدل على الكف عن ذكره ، بكل حال " انتهى من "تاريخ دمشق" (175 /71) .

وينظر للفائدة :

[/https://salafcenter.org/1673](https://salafcenter.org/1673)

والله تعالى أعلم.